بسم الله الرحمن الرحيم

بِالعَمَلِ تُبْنَى الأُمَمُ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمرَ بِالعَمَلِ، ونَهَى عَنِ الخُمُولِ وَالكَسَلِ، سُبْحَانَهُ كَرَّمَ الإِنْسَانَ وَبَوَّأَهُ بَيْنَ المَخْلُوقَاتِ مَكَانًا رَفِيعًا، وَسَخَّرَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا احتقَرَ عَامِلاً، وَلا مَنَعَ مِنَ المَعْرُوفِ سَائِلاً، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ، وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ، وَالعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، فَاتَّقُوا اللهَ وَرَاقِبُوهُ، وَامتَثِلُوا أَوَامِرَهُ وَلا تَعْصُوهُ، وَاعلَمُوا أَنَّ العَمَلَ مُهِمَّةٌ شَرِيفَةٌ، وَضَرُورَةٌ حَتْمِيَّةٌ لاستِمْرَارِ الحَيَاةِ وَامتِدَادِ العُمْرَانِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ التَّأْرِيخَ وَجَدَ أَنَّ الأَيْدِيَ العَامِلَةَ هِيَ الَّتِي تَقِفُ وَرَاءَ رُقِيِّ الأُمَمِ وَتَصَاعُدِ الحَضَارَاتِ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي المَكَاسِبِ المَادِّيَّةِ وَمُتَطَلَّبَاتِ العَيْشِ، أَمْ مُشَارَكَةً فِي الإِجَادَةِ وَالبِنَاءِ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا سَخَّرَ اللهُ الإِنْسَانَ لِخِدْمَةِ الإِنْسَانِ، وَجَعَلَ بَيْنَ النَّاسِ تَفَاوُتًا فِي الوَظِيفَةِ وَالقُدُرَاتِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ تَمْتَلِئَ الدُّنْيَا بِصُنَّاعِ الحَيَاةِ، وَتَتَعَدَّدَ فِي الأَرْضِ أَلْوَانُ المَهَارَاتِ فِي كُلِّ المَجَالاتِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1]، فَفِي الحَيَاةِ يَنْتَشِرُ العَامِلُونَ المُحْتَرِفُونَ، يَنْشُرُونَ الخَشَبَ، وَيَصْهَرُونَ الحَدِيدَ، وَيُمَارِسُونَ المِهَنَ المُخْتَلِفَةَ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الإِنْسَانُ، مِنْ غَيْرِ أَنَفَةٍ عَنِ العَمَلِ، أَوِ استِنْكَافٍ لِتِلْكَ المِهَنِ؛ لأَنَّ العَمَلَ الجَادَّ لا مَرْتَبَةَ لَهُ سِوَى الشَّرَفِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ سِوَى أَنَّهُ مَصْدَرُ عِزَّةِ الإِنْسَانِ وَكَرَامَتِهِ – بِأَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَعَرَقِ جَبِينِهِ – لَكَانَ ذَلِكَ كَافِيًا لِلْفَخْرِ وَالاعتِزَازِ؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ

(١) سورة الزخرف / ٣٢ .

ﷺ: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))، إِنَّهَا اليَدُ العُلْيَا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ، وَيَرْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَى المَرَاتِبِ الَّتِي تَستَحِقُّ التَّقْدِيرَ، فَيَكْفِي هَذَا العَامِلَ أَنَّهُ دَخَلَ فِي المَحَبَّةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا العَابِدُونَ بِتَعْفِيرِ الجِبَاهِ وَكَثْرَةِ القِيَامِ وَالصِّيَامِ، فَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ مَدَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ لِيُصَافِحَ عَامِلاً كَلَّتْ يَدُهُ مِنَ العَمَلِ، فَاعتَذَرَ الرَّجُلُ بِأَنَّ يَدَهُ خَشِنَةٌ لا يَنْبَغِي أَنْ تُصَافِحَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَتُؤْذِيَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((هَذِهِ يَدٌ يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ)). إِنَّ هَذَا المَعْنَى الاعتِزَازِيَّ الرَّامِيَ إِلَى حِمَايَةِ وَجْهِ الإِنْسَانِ وَكَرَامَتِهِ هُوَ الحَاضِرُ دَائِمًا فِي السِّيَاقَاتِ التَّرْبَوِيَّةِ الَّتِي يُوَجِّهُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ، كَقَولِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ –: ((لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلاً فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسأَلَ النَّاسَ: أَعْطَوهُ أَمْ مَنَعُوهُ)). إِنَّ الإِسْلامَ يَمْقُتُ الكَسَلَ، وَيُنَفِّرُ مِنَ العَجْزِ وَالاستِكَانَةِ وَاليَأْسِ، وَهُوَ لا يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ المُؤْمِنُ ضَعِيفًا فَيَذِلَّ، أَوْ مُحتَاجًا فَيَطْمَعَ، أَوْ مُتَقَاعِسًا فَيَتَخَلَّفَ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ العَمَلَ فِي الإِسْلامِ يَتَمَيَّزُ بِأَنَّهُ جَانِبٌ عِبَادِيٌّ فِي حَيَاةِ المُسلِمِ، يَتَحَقَّقُ بِهِ الأَجْرُ وَالثَّوَابُ مِنْ جِهَتَيْنِ: مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ عَمَلٌ مَطْلُوبٌ لِذَاتِهِ، تَتَحَرَّكُ بِهِ الحَيَاةُ وَيَتَحَقَّقُ بِهِ العُمْرَانُ، وَتَتَرَابَطُ بِهِ المُجتَمَعَاتُ، فَهُوَ أَشْبَهُ بِلَبِنَاتٍ اصطَفَّتْ مَعَ بَعْضِهَا لِصِنَاعَةِ الصُّرُوحِ الشَّامِخَاتِ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى هُوَ عِبَادَةٌ يُؤْجَرُ المَرْءُ فِيهَا عَلَى كُلِّ صَنْعَةٍ يَصْنَعُهَا، أَوْ يَدٍ يُحَرِّكُهَا، أَوْ عَرَقٍ يَشُقُّ أَخَادِيدَ التَّعَبِ فِي الوُجُوهِ، فَالرِّيَالُ الَّذِي تَكْسِبُهُ مِنْ عَمَلِ يَدِكَ، تُطْعِمُ بِهِ أَهْلَكَ أَوْ تَسُرُّ بِهِ وَلَدَكَ، أَوْ تَخْفِضُ بِهِ جَنَاحَ الذُّلِّ لِوَالِدَيْكَ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِ البِرِّ، إِذْ يُوَسِّعُ اللهُ لِصَاحِبِهِ مَكَانًا فِي صُفُوفِ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُبَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ، وَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَوْا مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ))، وَكَيْفَ لا يَكُونُ العَمَلُ

كَذَلِكَ؟ وَهُوَ فِي أَصْـلِهِ استِجَابَةٌ لِنِدَاءِ اللهِ عِنْدَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾(٢)، هَذَا وَاعْـلَمْ – أَيُّهَا المُسلِمُ – أَنَّكَ بِالعَمَلِ الجَادِّ تَمْنَحُ الحَيَاةَ المُستَقِرَّةَ لأُسْرَتِكَ، وَالعَيْشَ الرَّغِيدَ لِوَلَدِكَ، وَالتَّطَوُّرَ وَالنُّمُوَّ لِبَلَدِكَ، بَلْ إِنَّكَ قَبْـلَ كُلِّ شَيْءٍ تَمْـنَحُ الحَيَاةَ لِنَفْسِكَ، فَكُلَّمَا تَحَرَّكَتْ عَضَلاتُكَ لِلْعَمَلِ، وَمَفَاصِلُ جَسَدِكَ بِالشُّغْلِ كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً لَكَ فِي الصِّحَّةِ وَالقُوَّةِ لِلْبَدَنِ، وَالتَّغَلُّبِ عَلَى دَوَاعِي العَجْزِ وَالهَرَمِ، وَتَنْشِيطِ الخَلايَا لِطَرْدِ السُّمُومِ وَالوَهَنِ، فَفِي الدِّرَاسَاتِ العِلْمِيَّةِ مَا يُثْبِتُ أَنَّ فِي الحَرَكَةِ تَنْشِيطًا لِلْجَسَدِ، وَطَرْدًا لِلْوَهَنِ وَالكَسَلِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ))، وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالحَقِّ شَغَلَتْكَ بِالبَاطِلِ، وَإِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالعَمَلِ شَغَلَتْكَ بِالأَسْـقَامِ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لا يَنْبَغِي أَنْ يَصِلَ إِلَى حَدِّ الإِرْهَاقِ، وَالضَّغْطِ عَلَى قُدُرَاتِ الجِسْمِ فَوْقَ طَاقَتِهِ؛ لأَنَّهُ سَيَعُودُ بِالمَرْدُودِ العَكْسِيِّ، وَسَيَضُرُّ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْفَعُ، وَقَدْ قَالَ خَالِقُنَا سُبْحَانَهُ جَلَّ فِي عُلاهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ العَمَلَ إِضَافَةً إِلَى كَوْنِهِ مَصْدَرًا لِلرِّزْقِ وَسَبَبًا فِي الحَرَاكِ الحَضَارِيِّ وَالعُمْرَانِ، هُوَ أَيْضًا صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الإِبْدَاعِ وَتَنْشِيطِ الأَذْهَانِ، فَكُلَّمَا تَحَرَّكَ المَرْءُ لِلْعَمَـلِ اشْـتَغَلَ بِمَوْضُوعِ زِيَادَةِ الإِنْتَاجِ وَتَطْوِيرِ أَسَالِيبِهِ، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ فِي أَفْضَلِ الأَسَالِيبِ المُوَفِّرَةِ لِلـرِّزْقِ،

---

(١) سورة التوبة / ١٠٥ .

(٢) سورة الملك / ١٥ .

(٣) سورة البقرة / ٢٨٦ .

حَتَّى يَكْتَسِبَ بِذَلِكَ خِبْرَةً تُؤَهِّلُهُ لِمُوَاجَهَةِ مَصَاعِبِ الحَيَاةِ، وَالتَّغَلُّبِ عَلَى الظُّرُوفِ الطَّارِئَةِ، فَعِنْدَمَا هَاجَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – إِلَى المَدِينَةِ وَجَدَ نَفْسَهُ – بِحُكْمِ الخِبْرَةِ وَالتَّفْكِيرِ الإِبْدَاعِيِّ – قَادِرًا عَلَى بِنَاءِ نَفْسِهِ وَالدُّخُولِ فِي السُّوقِ؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى المُسَاعَدَاتِ الَّتِي كَانَتْ مَعْرُوضَةً عَلَيْهِ بَلْ قَالَ: (دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ)، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الَّذِي يَنْدُبُ حُظُوظَ النَّفْسِ لَنْ تُفْسَحَ لَهُ فُرَصُ الحَيَاةِ، وَلَنْ يَنْفَعَهُ جِسْمُهُ أَوْ فُتُوَّتُهُ مَا دَامَ لا تَتَحَرَّكُ فِيهِ دِمَاءُ العَمَلِ وَالنَّشَاطِ، هَكَذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – يَقُولُ لِكُلِّ مَنْ يَرَاهُ فَيُعْجِبُهُ، فَيَسْأَلُهُ عَنْ حِرْفَتِهِ، فَإِذَا أَجَابَ بِأَنَّهُ لا حِرْفَةَ لَهُ؛ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: (إِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أَرَى أَحَدَكُمْ سَبَهْلاً، لا فِي عَمَلِ الدُّنْيَا وَلا عَمَلِ الآخِرَةِ).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِذَا كَانَ دِينُنَا الحَنِيفُ يَحُثُّ عَلَى العَمَلِ وَيَعِدُ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ، وَيَعُدُّ العَامِلَ سَاعِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ أَيْضًا يُطَالِبُ العَامِلَ بِالإِتْقَانِ وَالأَمَانَةِ، وَإِلاَّ تَحَوَّلَ ذَلِكَ الجُهْدُ إِلَى مَحَلٍّ لِلْمُسَاءَلَةِ وَالحِسَابِ؛ بَدَلاً مِنْ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : ((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ))، فَبِالإِتْقَانِ يَسْتَطِيعُ المُسلِمُ أَنْ يَنَالَ مَحَبَّةَ اللهِ مَرَّتَيْنِ: الأُولَى لأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَالثَّانِيَةُ: لأَنَّهُ مُتْقِنٌ فِي عَمَلِهِ، أَمِينٌ فِي سِرِّهِ وَعَلَنِهِ، وَإِذَا كَانَ الإِتْقَانُ فِي العَمَلِ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ عِنْدَ اللهِ؛ فَإِنَّهُ يَرْفَعُهُ أَيْضًا عِنْدَ المُتَعَامِلِينَ مَعَهُ؛ ثِقَةً فِي إِتْقَانِهِ، وَاطْمِئْنَانًا إِلَى أَمَانَتِهِ، وَأَمْثَالُ هَؤُلاءِ العَامِلِينَ يَتَنَافَسُ النَّاسُ عَلَى طَلَبِ الخِدْمَةِ مِنْهُمْ، وَتَكْلِيفِهِمْ بِالأَعْمَالِ الصَّغِيرَةِ وَالجَلِيلَةِ، بَلْ إِنَّهُمْ سَيَحْظَوْنَ بِالمَكْرُمَاتِ وَالجَوَائِزِ وَالمُكَافَآتِ؛ تَقْدِيرًا لأَمَانَاتِهِمْ، وَفَرَحًا بِإِتْقَانِهِمْ، وَتِلْكَ هِيَ مَوَازِينُ العَدْلِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾(١)، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

---

(١) سورة فصلت / ٤٦ .

(٢) سورة المزمل / ١٥ .

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَاعْمَلُوا بِكُلِّ تَفَانٍ وَإِخْلاصٍ، وَرَاقِبُوا اللهَ فِيمَا تَصْنَعُونَ، وَاكْسِبُوا عَيْشَ أَنْفُسِكُمْ مِنْ كَدْحِ أَيْدِيكُمْ؛ تُرْضُوا رَبَّكُمْ، وَتَنْفَعُوا أُسَرَكُمْ وَمُجتَمَعَاتِكُمْ. وَيَا أَيُّهَا الشَّبَابُ البَاحِثُ عَنِ العَمَلِ: اطْرُقْ أَبْوَابَ الحَيَاةِ بِهِمَّةٍ عَالِيَةٍ وَعَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ، وَإِيَّاكَ وَاليَأْسَ وَالقُنُوطَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَوْجَبَ الرِّعَايَةَ وَأَدَاءَ الحُقُوقِ لِبَنِي الإِنْسَانِ، وَأَمَرَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالمُرُوءَةِ وَالإِحْسَانِ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ المُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ العَامِلِينَ، بَعَثَهُ اللهُ مُتَمِّمًا لِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَنَاشِرًا الرَّحْمَةَ وَالعَدْلَ فِي الآفَاقِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الرُّحَمَاءِ، البَرَرَةِ الأَتْقِيَاءِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

شَرَحْنَا لَكُمْ قَبْلَ قَلِيلٍ حَثَّ الإِسْلامِ عَلَى العَمَلِ وَتَرْغِيبَ النَّاسِ فِيهِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ مَصْدَرُ رِزْقٍ، وَمَصْدَرُ أَجْرٍ وَثَوَابٍ، وَمَصْدَرُ حَضَارَةٍ وَعُمْرَانٍ، وَالآنَ لا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ جَمِيعًا أَنَّ لِلْعَامِلِ حُقُوقًا عَلَى المُؤَسَّسَاتِ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَعَلَى الأَفْرَادِ المُنْتَفِعِينَ مِنْ خِدْمَاتِ العَامِلِينَ، فَلِلْعَامِلِ حَقُّ الإِكْرَامِ، وَوَاجِبُ التَّشْجِيعِ وَالإِحْسَانِ، وَعَدَمُ تَكْلِيفِهِ فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَإِرْهَاقِهِ بِسَاعَاتِ العَمَلِ الطِّوَالِ، استِغْلالاً لِحَاجَتِهِ، وَضَعْفِهِ وَفَاقَتِهِ، كَلاَّ، بَلْ لا بُدَّ مِنْ تَمْكِينِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي يُطِيقُ، وَتَوْفِيرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ وَالحَاجِيَّاتِ، وَمُكَافَأَتِهِ عَلَى إِتْقَانِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَإِعْطَائِهِ أَجْرَهُ كَامِلاً دُونَ نُقْصَانٍ، بَلْ فِي وَقْتِهِ دُونَ تَأْخِيرٍ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: ((أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ))، فَإِذَا زِدتَهُ فِي سَاعَاتِ العَمَلِ أَوْ ضَاعَفْتَ عَلَيْهِ الجُهْدَ؛ فَاجْعَلْ لِكُلِّ هَذَا أَجْرًا زَائِدًا، وَمُكَافَأَةً بِمِقْدَارِ مَا قَدَّمَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ، وَتَستَشْفِعُ بِهَا فِي وَقْتِ الأَزَمَاتِ

وَالكُرُوب، ولَنَا فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الغَارِ الثَّلاثَةِ عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ، عِنْدَمَا دَخَلُوا فِيهِ مُحتَمِينَ مِنَ المَطَرِ؛ فَسَدَّتْ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ فُتْحَةَ الغَارِ، وَقَدْ قَصَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا قِصَّتَهُمْ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَوَسَّلَ إِلَى اللهِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي قَدَّمَهَا، فَقَالَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي استَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ، مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟! فَقُلْتُ: لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاستَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ؛ فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ)، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَأَحْسِنُوا إِلَى العَامِلِينَ، وَكَافِئُوهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَزِيدُوا فِي الأُجُورِ بِرًّا وَإِحْسَانًا، وَتَشْجِيعًا لِلْعَامِلِينَ وَإِكْرَامًا، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾(١).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

---

(١) سورة المزمل / ٢٠ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ. اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.